موجب في يوم الجمعة تبطيل الاشغال واضطرار الناس الى الامتناع عن البيع والشراء.

وقد علمنا انّ الالفة غالباً تسود بين اهل حلب رغماً عن اختلاف الاديان ولا يُسبأ ببعض الاوباش الذين يحاولون تعكير صفاء الولاء والحبّ . وقد عاينّا ذلك في غرّة ايلول في موسم استقلال سوريّة ونجاتها من النير الحجازي . فكان العيد بهيجاً اشترك في افراحه كلّ الاهلين واعربوا عن عواطفهم المخلصة لمندوبي الدولة الفرنسويّة وممثّليها . ومما لا ينكر انّ اعيان المدينة ورؤساء الاديان وخصوصاً السادة الاساقفة لم يألوا جهدهم في جمع القلوب وتوحيد مساعي العموم لترقية المدينة ونجاح امورها

على انّ اهل حلب عموماً وتجارها خصوصاً يتوجّسون خوفاً من خطر عظيم يحلّ بمدينتهم فيكون عليها ضربةً لازبة . يرون في تحديد الانتداب الفرنساوي على مسافة بضعة كيلومترات من حلب شمالاً وشرقاً وتخصيص ما وراء تلك الحدود بالاتراك سوف يحرم حلب من معظم مواردها بقطع معاملاتها مع داخليّة البلاد فتصبح شلواً هامداً لا تحيه جوارحُ او نهراً لا تمدُّهُ السواعد فتنضب مياهُهُ. وقد عرضوا الامر على الدولة الفرنسويّة لتلافي هذا الخطر فعساهم ينالون غايتهم

وفي الختام نتمنّى لحلب رقياً متواصلاً ونجاحاً دائماً لتكون نقطة الدائرة بين البلاد التي تحدق بها كما هي مركز حياتها التجاريّة والاقتصاديّة والادبيّة

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

سفارة الاب ايرونيموس دنديني الى لبنان (١٥٩٦ــ١٥٩٧) .

كان مرّ على سفارة الاب يوحنّا اليانو الثانية الى لبنان خمس عشرة سنة وعلى وفاته ستّ سنوات . وكان تعيّن على محاماة الموارنة في رومية بعد الكردينال كرافا

سنة ١٥٨٩ الكردينال جبرائيل باليوتي ثم الكردينال ألدوبرندبني سنة ١٥٩٤ . اما الحبر الاعظم فكان البابا اقليمس الثامن جلس على السدّة البطرسيّة في آخر كانون الثاني من السنة ١٥٩٢ فتولّى تدبير الكنيسة ١٣ سنة . وكان البطريرك سركيس الرزّي لا يزال يرعى طائفتهُ بكل عناية . قال الدويهي في تاريخ الطائفة المارونيّة (ص ١٨٢) :

« وفي السنة ١٥٩٥ أقام البطريرك سركيس في عيد ميلاد الرب يوسف بن موسى اخيهِ اسقفاً وارسلهُ سفيرًا الى البابا اقليمس الثامن في بعض مصالح الطائفة ولتهنئتهِ بعرش الخلافة . فأجلَّهُ البابا غاية الاجلال وعند عودتهِ ارسل في صحبتهِ قسّيسَين من الشركة اليسوعيّة وهما ايرونيموس دندبني وفابيوس برونا »

ولهذه السفارة شأن عظيم في تاريخ الطائفة المارونيّة فلا بدَّ من تقديم بعض الملحوظات عليها :

كان رئيس هذه السفارة الاب ايرونيموس دندبني . ولد في مدينة سيزانو من اعمال ايطالية سنة ١٥٥٤ من أسرة شريفة ودخل الرهبانيّة سنة ١٥٦٩ وهو اوّل يسوعي علّم الفلسفة في باريس ثم عُهدت اليهِ عدّة مهامّ من تعليم وولايات شتّى تدلّ على ما كان لهُ من الاعتبار لدى رؤسائهِ وعند اهل عصرهِ

فبينما كان يعلّم اللاهوت السنة ١٥٩٦ في مدينة پروزة اذ طلبهُ الحبر الاعظم اقليمس الثاني ليذهب الى لبنان بصفة قاصد رسولي ليتحرّى امور الموارنة ويستقصي احوالهم الدينيّة فيوقف على صحّتها إمام الاحبار . وقد شرح ذلك هو عينهُ في اخبار رحلتهِ قال (ص ٤ من طبعة باريس سنة ١٦٨٥) ما تعريبهُ :

« كانت بلغت سامع الحبر الاعظم والكرادلة منذ مدّة طويلة بعض الوشايات بحقّ الموارنة . وكان قومٌ نسبوا اليهم عدّة اضاليل وبدع . وكان الموجودون منهم في رومية يبذلون جهدهم في تذكية طائفتهم الّا انّ الامور لم تجلِ فكان البعض ينفون ذلك والبعض يصدّقونهُ حتّى صعب الوقوف على الحقيقة . واذ كان الكرسيّ الرسولي حريصًا جدًّا للطيفة لتهذيب احداث الطائفة في المدرسة المنشأة لهم وقد اتى منهم الى رومية اخيرًا فرقةٌ عديدة واكثرهم لا يستطيعون ان يتكلّموا على الدروس لفضاضة سنّهم حتى زادت المصاريف برؤوسهم فسبّب ذلك بغض الاشياء . في الحاشية البابويّة لاسيما وقد بلغهم انّ الذين كانوا أتوا دروسهم ورجعوا الى مواطنهم في الدار المنصرم لم تُعهَد اليهم وظائف يقومون بها مع كونهم اتقنوا الدروس الفلسفيّة واللاهوتيّة وبلادهم في غاية الحاجة الى عملة نشيطين لتأييد الدين . وبناء عليه عزم قداسة الحبر الاعظم على ان يرسل

الى بلاد الموارنة رجلًا ثقةً يبحث بحثًا مدقّقًا عن احوالهم الدينيّة وامورهم الاديّة فيوقف الكرسي الرسولي عند رجوعه عمًّا لحظهُ وتبيّنهُ . ثمّ يسعى في سفارته بحسن اختيار الاولاد المرسلين الى المدرسة المارونيّة من حيث بلوغهم السنّ المناسب وذكاء عقلهم كما يجب عليه ان يهتمّ بامر التلامذة الذين اخوا دروسهم ليولّوهم رعاية النفوس وتدبير كنائس طائفتهم »

هذا ما كتبهُ الاب دنديني في اسباب سفارته الى لبنان كما دوّنهُ في اوّل تاريخ رحلته التي ستذكر خلاصتها . ومن قوله هذا يتّضح بان التُّهم في صحّة ايمان الموارنة لم تصدر كما ظنّ البطريرك سركيس من الاب اليانو المتوفّى قبل ستّ سنين بل من ناس احياء كما يلوح من كلامه . ولعلّ هؤلاء كانوا من الشرقيين الذين اتوا رومية من طوائف أخرى فاطّلعوا على كتب الموارنة التي اتى بها سابقًا الاب اليانو وكان المراطقة دسّوا فيها اضاليلهم فنشروا ذلك في رومية وعاكسهم الموارنة الذين فيها

فلمّا تعيّن الاب دنديني لهذه السفارة توجّه الى امّ المدائن فامتثل بين يدي الحبر الاعظم ليقف على سائر نيّاته والتمس من فضله ان يمدّهُ بكل النعم الروحيّة تسهيلًا لاعماله كما التمس منهُ الرخصة لزيارة الاراضي المقدّسة . فنال من فضل قداسته كل ما طلبهُ لخير الموارنة وتنشية العبادة بينهم وسمح لهُ بمنح الغفرانات وتعليقها على المسابح والايقونات وتماثيل حمل الله ورخّص لهُ بحلّ الخطايا المحفوظة والمسامحة بالتأديبات الكنسيّة . ثمّ سلّمهُ براءةً تاريخها ١٢ حزيران ١٥٩٦ الى البطريرك سركيس يذكر فيها عناية الكرسيّ الرسولي بالطائفة المارونيّة رغمًا عن بُعدها عنهُ ثمّ يذكر انّ عنايتهُ هذه هي التي دفعت الحبر الاعظم الى تعيين الاب ايرونيموس دنديني الممتاز بتقاه وعلمه وغيرته ليزور الطائفة المارونيّة ويعزّيها في مصائبها ويستعلم عن كلّ احوالها فيوقف عند عودته قداسته على كل حاجاتها . ويختم بذكر ما يرسلهُ معهُ من الهدايا كعربون انعطافه اليه والى ابنائه الموارنة (١)

ثمّ اجتمع الاب دنديني برئيسه العامّ الاب كلوديوس اكوافيفا فعيّن لهُ كرفيق ومستشار الاب فابيوس برونو من افاضل آباء الرهبانيّة الذي تقلّد بعد رجوعه رئاسة المدرسة المارونيّة وسعى بترقيتها ودفع ابرهيم الحاقلاني الى تأليف غراماطيقه السرياني

---

(١) اطلب نصّ هذه البراءة في اللاتينيّة في مجموع البراءات المارونيّة للاب طوبيا العنيسي T. Anaissi : Bullarium Maronitarum, p. 106 وفي تاريخ الكنيسة الانطاكيّة المرسيّة للخوري ميخائيل غبريل (ج ٢ ص ٣٨٦)

اللاتيني . ولدينا المذكرة التي اعطاها الرئيس العام المرسلين في ١٩ باباً وهي مملوءة حكمة وتقى يوصيهما بها كيف يجب عليهما ان يتصرفا في بعثتهما بخصوص واجباتهما الروحية والرهبانية ثم في معاملاتهما مع رؤساء الطائفة المارونية وشعبها وفي زيارة كنائسهم واديرتهم ورعاياهم ليحققا آمال الكرسي الرسولي ويوثقا روابط الايمان والطاعة الواجبة نحوه . واذ كان الابوان يجهلان العربية والسريانية عيّن لهما الرئيس العام بصفة ترجمانين اثنين من تلامذة المدرسة المارونية اللذين كانا انجزا فيها دروسهما القس موسى العنيسي الذي كان عاد الى لبنان في السنة السابقة والشدياق يوسف اليان الحلبي الذي رافقهما في السفر . على انّ جهل المرسلين للغات البلاد اضرّهما كثيراً اذ لم يستطيعا ان يتحققا بنفسهما كثيراً من الامور التي وقف عليها الاب اليانو قبلهما . وكأنّ قصر الوقت لم يسمح لهما بمطالعة كتابات ذلك الاب ورسائله التي وصف فيها لبنان واهله وسائر اموره احسن وصف . وذلك ايضاً كان خللاً اذ حرما عدّة معلومات كانت افادتهما في القيام بمهمتهما وفي الدفاع عن التهم التي اشاعها البعض بحقّهِ زوراً

أبحر القاصد ورفيقهُ وترجمانهُ من مينا تقرب البندقيّة بعد ان لبسوا ثياب زوّار الاراضي المقدّسة وذلك في ١٤ تمّوز ١٥٩٦ . وكان مركبهم مجهّزاً بالمدافع لردّ غارات القرصان الّا ان سفرهم كان ميموناً والريح في الغالب موافقةً . وقد وصف الاب دنديني في رحلتهِ ما حدث لهم في طريقهم على جزائر اليونان وكندية وقبرس فيتّسع في اخلاق السكّان وعاداتهم واديانهم وخواصّ بلادهم . وزار في قبرس الموارنة المستوطنين فيها . ثمّ ركبوا سفينة أخرى نقلتهم الى طرابلس فبلغوها في اواخر شهر آب ونزلوا ضيوفاً فيها على احد تجار البنادقة فاستراحوا قليلاً من اتعاب السفر ولاسيّما الاب فابيوس الذي بقي مريضاً بضعة أيام

وقد خصّ هنا الاب دنديني عدّة فصول من كتابهِ لوصف اخلاق اهل طرابلس وعاداتهم المختلفة ديناً ودنيا ولاسيّما الاتراك والمسلمين ليوقف مواطنيهِ على امورهم في كلّ اطوار حياتهم

٢ الاب دنديني في لبنان

ثمّ ينتقل الاب الى ذكر صعودهِ الى قنّوبين ماراً بقرية اهدن حيث قدّم الذبيحة

الالهيَّة في معبدٍ على اسم القديس يعقوب «اشبه بقبر منهُ بكنيسة» . ولمَّا قرب من قنُّوبين وجد عدَّة كهنة اتوا لاستقباله باسم السيِّد البطريرك سركيس الذي كان مريضاً ملازم الفراش . وكان وصولهُ في غرَّة ايلول الى قنُّوبين فدخل على البطريرك فوجدهُ جالساً على فراشهِ وقدَّم لهُ براءة الحبر الاعظم ورسائل الكردينال باليوتي محامي الطائفة ورئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام فقبَّل البراءة ووضعها على رأسهِ اجلالًا ثمَّ دار الحديث بين القاصد والسيِّد البطريرك مدَّةً عن احوال الحبر الاعظم والمدرسة المارونيَّة وغير ذلك

وفي الغد شرح الاب دنديني للسيِّد البطريرك الغرَض من سفارتهِ وما يرغبهُ الحبر الروماني من الخير للموارنة فطلب منهُ ان يجمع السادة الاساقفة ليتفاوضوا في امور الطائفة ويتذاكروا في احوالها الدينيَّة والادبيَّة . وهنا اخذ البطريرك سركيس يتشكَّى ويتجنَّى ويتذمَّر تارةً على الحبر الاعظم الذي لم يرسل لهُ سوى براءة بسيطة بدلًا من منشور رسمي كما لأسلافهِ وتارةً على الذين شوَّهوا على زعمهِ صيت الموارنة في رومية وخصوصاً على الاب اليانو مدَّعياً انهُ اتَّهم الموارنة بتُهم باطلة وانَّهُ زوَّر باسمهم بعض الكتابات (كذا) وان المجمع الذي عُقد بحضرتهِ وحضرة الاساقفة المعظَّمين بتوقيعهم كانت اعمالهُ مغشوشة واشياء أُخرى اندهش الاب دنديني لاستماعها ولم يكن مطَّلعاً على حقيقتها فبقي محتارًا في الجواب عنها (١ وانَّما حاول إخماد غضب البطريرك الذي كان المرض يزعجهُ ويثير طباعهُ حتَّى تمكَّن من تطييب قلبهِ وقدَّم لهُ ما ارسلهُ لهُ الحبر الروماني من حُلل اسقفيَّة وآنية ثمينة للحفلات الدينيَّة . أمَّا المجمع الذي طلب الاب دنديني اقامتهُ فرأى ان ما يجري في الشام وتتنذر من الحروب بين الامير فخر الدين الكبير وآل سيفا وامراء الاتراك يحول دون اجتماع الاساقفة الَّا اثنين منهم ففضَّل تأجيلهُ الى زمن آخر ريثما يشفى البطريرك وتهدأ الامور

وكان الاب فابيوس بقي في تلك الاثناء في طرابلس فلمَّا عوفي لحق برفيقهِ وسار كلاهما يتجوَّلان في انحاء لبنان ليستطلعا احوالهُ ويراقبا شؤون اهلهِ وكلّ ما يألفونهُ من العادات في عيشتهم الفرديَّة والعائليَّة والاجتماعيَّة . فعيَّن لهم البطريرك

(١ وقد رأيت في ما سبق بطلان كلّ هذه الشكايات التي لم نجد لها سنداً في كل ما لدينا من كتابات الاب اليانو

ليسير في خدمتهم احد شمامسته المدعو يوسف خاطر فزاروا قرى لبنان وفحصوا ارزها واراضيها ومزروعاتها وحيوانها وطيورها واجتمعوا باهلها فوقفوا على عاداتهم وتنقّدوا احوال رهبانها وراهباتها وفحصوا اديرتهم وكنائسهم . وبحثوا عن امور الاكليروس . وقد نشر الاب دنديني كلّ ذلك في رحلته التي تحتوي من المعلومات عن لبنان وعن الموارنة ما لم يسبقهُ اليه كاتب آخر فجاء كتابهُ كمرآة تاريخ ذلك الزمان وصورة حيّة تمثل كل اطوار حياتهم منذ ولادتهم الى وفاتهم فيصف ملبوسهم رجالًا ونساء وماكولهم ومشروبهم وافراحهم واحزانهم وتمثّلهم في الدين وقلّة معارفهم . وهناك بيان لما يلحقهم من الدولة من الجور وضروب المظالم والاهانات . وفيه ايضاً ذكرُ عادات شتّى بطلت بين الموارنة منذ زمن طويل منها تمثّم رجالهم باللثّة المنيرة وحلقهم لشعر رؤوسهم مع ارخاء لحاهم وتقلّدهم السيوف وتنكّبهم الاقواس (ص ٨٩) ومنها مناولة الشعب على الشكلين : الخبز والخمر (ص ١١٤ و ١١٩) ومناولة الاطفال الصغار . ومنها مباشرة القدّاس وتهيئة الذبيحة قبل ان يلبس الكاهن الحلّة الكهنوتيّة كما يفعل كهنة السريان حاضراً (ص ١١٠ — ١١١) وقد سبق انّ هذه الحلّة كانت ايضاً في أيام دنديني كحلّة السريان اي الغنّارة (ص ١١١) . ومنها انّهم في الصوم يقدّمون الذبيحة عند العصر وينطرون بعدها (ص ١١٦) وللاب دنديني فصلٌ عن رهبان وراهبات ذلك العهد في لبنان (ص ١١٤ — ١١٨) يفيدنا عن عيشتهم ومناسكهم وذلك قبل انشاء الرهبانيّات الحديثة بنيّف ومائة سنة يذكر فيه ما استحسنهُ من عاداتهم وما استنكف منها

وممّا افادنا هناك (ص ١٥٠) ذكر الاعياد التي كانت شائعة عند الموارنة . واضاف اليها الكلنداز السنوي مع جدول الاعياد المفروضة بالاتفاق مع المجمع وهي هذه ختانة الرب . الغطاس . دخول العذراء الى الهيكل . مار متيّا الرسول . عيد البشارة . مار يعقوب ومار فيلبّوس الرسولان . مار يوحنّا المعمدان . مار بطرس ومار بولس . تجلّي الرب . انتقال العذراء . مار برتلماوس الرسول . ميلاد العذراء . مار متّى . ارتفاع الصليب . مار ميخائيل . الرسولان مار سمعان ومار يهوذا . عيد جميع القديسين . مار اندراوس الرسول . مار توما الرسول . ميلاد الرب . القديس اسطفانوس اوّل الشهداء . ما عدا آحاد كل السنة واليومين التابعين لعيد الفصح وصعود الرب . واليومين التابعين

لعيد المنصرة. الثالوث الاقدس. عيد جسد الرب وشفيع المكان

فهذا الجدول اقدم كلندار نعرفهُ للكنيسة المارونيَّة وهو يسبق ٧٧ سنةً كلندارًا اخر نشرناهُ سابقًا عن بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة في هذه المجلَّة (٨ [١٩٠٥]: ٨٧١ — ٨٧٤). وما من شأنهِ ان يُذهل القرَّاء انَّ لا ذكر فيهِ لزعيمي الكنيسة المارونيَّة القديس مارون الناسك ومار يوحنَّا مارون. وقال الاب دنديني انَّ الكلندار المذكور وُزِّعت نسخهُ على كل الكنائس وامروا الكهنة ان يعلنوا يوم الاحد في القداس بالاعياد الواقعة في الاسبوع

٣ مجمع قنوبين في سنة ١٥٩٦

بعد أن قضى القاصد الرسولي ثلثة اسابيع في قنُّوبين والقرى المجاورة ودقَّق النظر في المناشير البابويَّة المرسلة الى الموارنة من اينوكنت (زخيا) الثالث سنة ١٢١٥ واسكندر الرابع سنة ١٢٥٦ ولاون العاشر سنة ١٥١٥ وغريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٧٧ ليتَّخذ مضامينها كوادٍ يعرضها على المجمع المنويّ رأى ان صحَّة السيِّد البطريرك قد تحسَّنت نوعًا وانَّ لمور البلاد قد هدأت بعض الهدوء فرغب الى غبطتهِ ان يستدعي الاساقفة الى قنُّوبين فوافقهُ البطريرك ولبَّى الاساقفة دعوة رئيسهم وانتظم عقد المجمع في ٢٨ من شهر ايلول على الحساب الغربي الموافق لليوم ١٨ منه (١ في الحساب الشرقي الذي كان يجري عليهِ وقتئذٍ الموارنة كبقيَّة اهل الشرق

فافتتح الاب دنديني المجمع بتلاوة براءة الحبر الاعظم التي يفوِّض اليهِ فيها ان يعقد مجمعًا ملِّيًا للوقوف على احوال الطائفة ويسعى في كلِّ ما يؤول الى خيرها بواسطة الاكليروس وخصوصًا السادة الاساقفة

ثمَّ تخطَّى الاب الى عقائد الايمان التي كان الحبر الروماني يودّ ان يطَّلع على معتقد الموارنة فيها. فاكاد يعرض ذلك على المجمع حتَّى «طفق السيِّد البطريرك يحتجّ بعبارة مطوَّلة احتجاجًا قويًّا على مجمع كان انعقد في السنين الماضية منكرًا انعقادهُ او تثبيتهُ منهُ او من الاخ سالفهِ. ثمَّ حرم اغلاطًا جمَّة عزاها بعض الناس اليهِ والى قومهِ ورمى

١) جاء في ذيل المجمع اللبناني (ص ٩) المطبوع حديثًا «في ثاني ايلول» والصواب «في الثامن عشر ايلول»

بالحرم القائلين بها (١ » مؤكداً انهُ لم يزل مرتبطاً بالكنيسة الرومانية وانهُ سيثبت دائماً على ايمانها. ثمّ قام رئيس الشمامسة مدفوعاً بغيرةٍ عظيمة قائلاً : « نعم اننا نريد ان نتبعها ولا ننفصل عنها حيثما سارت ولو انحدرت الى الجحيم » (كذا في رحلة الاب دنديني ص ١٣٥)

فيلوح من هـذا الكلام تعلُّق الموارنة بالكنيسة البطرسيَّة وانفتهم من كلّ الاضاليل الشائعة في المشرق. على اننا لا نفهم كيف امكن البطريرك سركيس «ان يحتجّ على المجمع المنعقد سابقاً سنة ١٥٨٠ منكراً انعقادهُ او تثبيتهُ منهُ او من الاخ سالفهِ » واعمال ذلك المجمع باقية الى اليوم في ترجمتها اللاتينيَّة التي نشرها المرحوم الاب انطون رباط في كتابهِ « مآثر تاريخيَّة للكنائس الشرقيَّة » (ص ١٥٢—١٦٩) وليس هناك ما يمسّ البتَّة شرف الطائفة المارونيَّة وفي آخرها امضاء السيّد البطريرك ميخائيل الرزي واخيه وخلفهِ سركيس. وانَّما فيها اعلان صريح بايمان الموارنة وتشبُّثهم بالكرسي الرسوليّ . امّا اصلهُ العربيّ فلم يُفقد تماماً وقد نشرنا سابقاً (ص ٤٨) خلاصتهُ التي ارسلها البطريرك ميخائيل الرزي الى كنائس لبنان بصفة « وصايا يجب على الجميع قبولها وحفظها ». ولا شكَّ انَّ البطريرك سركيس نسب الى الاب اليانو ما هو براء منهُ وكثيراً ما دافع هذا الاب عن الموارنة وعن صدق ايمانهم وعزا ما وجد في كتبهم من الاضاليل الى الجهل او الى خبث النسّاخ المراطقة. وبهِ تسقط ايضاً احتجاجات البطريرك الدويهي على الاب اليانو الذي ثبت حبَّه الخالص للموارنة ودفاعهُ عنهم بما سبق نشرهُ (٢

وليست اعمال مجمع قنُّوبين هذا الثاني الّا صورة اخرى للمجمع السابق . وقد احسن الطيّب الذكر المطران يوسف نجم بتعريب بنودهِ عن اصلها اللاتيني في ذيل المجمع اللبناني (ص ٩—١٧) وهذه البنود في عدد ١٣ بنداً صدَّقوا عليها في هـذا المجمع باتّفاق الاصوات مصرّحين باعتقادهم في السيّد المسيح اقنوماً واحداً الهيًّا في طبيعتين ومشيئتين وفعلَين وفي انبثاق الروح القدس من الآب والابن وفي معنى

---

١) في الذيل المذكور (ص ١٠) ٢) انَّ للاب بطرس مرتينوس اليسوعيّ في تاريخ لبنان الذي لا يزال مخطوطاً دفاعاً طويلاً عن الاب جوان باطشا اليانو وردًّا عن التهم الثريَّة التي اشاعها بعض الجهّال في حقّه وردّ عليها الدويهيّ في تاريخهِ

التقديسات الثلث الواردة في كتبهم (Trisagion) وفي وجود المطهر وعموم الخطيئة الاصليَّة ودخول الانفس البارَّة الى السماء قبل الدينونة مع بعض اعتقاداتهم في الاسرار المقدَّسة لاسيَّما التثبيت والقربان الاقدس

وهناك ايضاً ٢١ قانوناً بخصوص الفرائض الدينيَّة والعيشة المسيحيَّة (١ اقرَّها الآباء وألحُّوا في التماس تثبيتها بسلطان قداسة البابا فوعدهم بذلك القاصد الرسولي ثمَّ انحلَّ المجمع في غرَّة تشرين الاوَّل وهو اليوم العشرون من ايلول على الحساب الشرقي

٤ وفاة البطريرك سركيس الرزي وانتخاب خلفه

بعد ارفضاض المجمع اراد الاب دنديني ان يتجوَّل في بعض انحاء لبنان ليماين اديرة الرهبان فانطلق الى حبس قزحيَّا ودير مار انطونيوس المجاور لهُ وكان الرئيس على قزحيَّا المطران يوسف ابن اخي البطريرك سركيس وكان معهُ شقيقهُ سركيس الذي كان تلقَّى العلوم في مدرسة الموارنة في رومية. اما دير مار انطونيوس فوجد فيهِ الاب دنديني ثلثة اخوة وكلهم اساقفة . ثمَّ انتقل الاب دنديني الى اهدن فتجمهر اهلها واتوا لاستقبالهِ وتحفَّوا بهِ واكرموهُ اكراماً عظيماً فوزَّع عليهم عدداً وافراً من المسابح والصلبان والايقونات فشكروهُ اي شكر على تلك الهبات الثمينة

ثمَّ صعد الاب من اهدن الى دير مار سركيس الذي يبعد عنها ميلاً فسار امامهُ نخبة من رجال اهدن يتمنُّون بالتسابيح كألوف عادتهم عند زيارة السيد البطريرك . فدخل الدير بكل آبهة ورونق وبعد الصلاة في الكنيسة عاد رئيس الدير الذي كان استقامَ طاعناً في السنّ ضريراً . وما كاد يدور الحديث بينهما حتَّى ورد ساعٍ من قنُّوبين يعلم القاصد بان السيد البطريرك أُصيب بنوبة قويَّة وانهُ على وشك النزاع فقام الاب المذكور من ساعتهِ وانتقل راجلاً بكل سرعة الى قنُّوبين لكنَّهُ عند وصولهِ عرف انَّ البطريرك كان فارق الحياة قبل ساعتين وانتقل الى رحمة ربهِ وذلك في ٥ من تشرين الاوَّل (٢ الموافق لليوم ٢٥ من ايلول . فوجدهُ الابوان قد عُرض في الكنيسة

١) تجدها مطبوعة في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٣—١٥) وفي تاريخ الموارنة للدويهي مع صورة المجمع (ص ٢٨٧—٢٩١) ٢) اما الدويهي فيزعم انَّ وفاتهُ كانت في ٧ منهُ

بحلّته البطريركيّة جالساً على عرشه في يده المكنّاز وعلى رأسه التاج وحوله الناظمات والنادبات بجلبة عظيمة . وفي الغد تقاطر الناس من كلّ صوب فدُفن البطريرك بجفلة حافلة في معبد القديسة مارينا المجاور لدير قنّوبين

وقد وجدنا للبطريرك المذكور في سجلّات رهبانيّتنا رسالة وجّهها سنة ١٥٩٢ الى رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام الاب كلوديوس اكواڤيڤا يوصيه بقسيسين يرسلهما الى بلاد الفرنج لجمع الحسنات لدير قنّوبين هذا نصّهُ :

الحقير بطرس بطريرك الموارنة

لحضرة الاخ الجنيرال

البركة الالهية والسلام الروحاني الذي خصَّ بهِ سيدنا تلاميذه لما دخل اليهم والابواب مغلقة تلك البركات التي خصَّهم بها وذلك السلام الذي اهداهم اياه ذلك يكون بينه حالّ على الاخ العزيز صاحب الفهم والمعرفة والمشورة الصالحة الاخ البار والاتاء المختار صاحب الفضل علينا وعلى اولادنا الذين في المدرسة هو وتلاميذه . وايضاً نخص في البركة الالهية الجوقة اليسوعية الروحانية تكون البركة حالة عليهم وبين ايديهم وعلى رزقهم ومقتناهم امين

والذي نعرض على المسامع الكريمة كرمها الله بان واصل لعند محبتك اخوتنا القس ابراهيم والقس يعقوب ولهم خاطر انهم يمشوا في البلاد صوب المزارات ونحن مشرفتك ان اين ما راحوا يكونوا مكرمين وان كان برسم فضلك حتى يوشوا للدير شوية نفقات لانهُ كثر علينا ظالم التركي والمحل قطع بلادنا وخلّى داخله وخارجهُ مثل البرّ وهذا الكرسي يا اخي هو ملجأ الفرنج في الفضل وفي كل ضيقة يجي عليهم بقوة المسيح وعلى يدينا في الكرسي يسر كثير ما لهم عدد (كذا) اذا اطلعوا عليهِ الملوك والتجار بشيء تخرج عليهِ ما هو عيب الله يكون سعك يا اخي انك تمشي لنا درب مثل معرفتك ليكون لنا بها نجي على دربك ويبقى لك الاجر والحسنة عند الله : ومثل محبتك ما يدل على صواب وعندك فهم يغني عن طول الشرح وبعد البركة والسلام عليك وعلى اخوتك العزيزين تلاميذنا كل واحد باسمهِ والشكر والخير لله رب العالمين آمين

برز من دير قنّوبين جبل لبنان المبارك بيد الحقير بطرك الموارنة طانع ومعتقد كرسي بطرس بابا رومية سنة ١٥٩٢ مسيحيّة ثامن يوم من شهر تشرين الآخر

قال الدويهي في تاريخهِ : « وفي النهار التاسع خلفهُ في البطريركيّة يوسف ابن اخيهِ موسى الرزّي ولهُ من العمر ٤٦ سنة وهو الثامن من البطاركة في دير قنّوبين »

اما الاب دنديني فيقول انّ انتخاب خلف البطريرك سركيس صار في ١٩ يوماً بعد وفاته وانّ الاساقفة والاعيان رغبوا اليه ان يُعيّن خلفاً للسيد سركيس فمن شاءهُ اختاروهُ لكنّ القاصد الرسوليّ أبى ان يتداخل بالامر ونزل الى طرابلس ينتظر نتيجة الانتخاب فتمّ ذلك في ١٣ ت ١ بموجب الحساب الغربي الموافق للثالث منهُ في الحساب الشرقيّ . ووقع اختيار الاكليروس والشعب على المطران يوسف الرزّي رئيس حبس قزحيًا وابن اخي البطريرك المتنيح فخلفه على محبسة قزحيًا اخوهُ سركيس تلميذ رومية السابق ذكرهُ

وما كاد البطريرك الجديد يتبوّأ سدّة اسلافه حتّى ارسل واستدعى من طرابلس الاب دنديني . فلمّا قدم اعرب عن سروره بزوياهُ واكّد لهُ انهُ مصمّم النيّة على السلوك بموجب كلّ رغائب الكرسيّ الرسوليّ فانتهز الاب تلك الفرصة ليعرض عليهِ عدّة امور لم تتقرّر في المجمع الاخير فاجابهُ اليها لكنهُ أجّل ذلك الى زمن رجوعهِ من عند امير البلاد ابن سيفا وهو ذاهب ليزورهُ كما كانت العادة جاريةً قبلهُ

فلمّا خرج البطريرك لمقابلة الامير اراد الاب دنديني ان ينتهز تلك الفرصة ليزور القدس الشريف مع رفيقهِ ريثما يكون رجوع البطريرك يوسف الى قنّوبين فسافر الى طرابلس ليركب قارباً يقودهُ الى يافا لكنهُ حدثت وقتئذٍ امطار وانواء شديدة منعتهُ من السفر فعاد الى قنّوبين بعد رجوع البطريرك من زيارتهِ لامير البلاد وحضر جنّازًا حافلًا أُقيم في ١٣ ت ٢ لراحة نفس البطريرك عمهِ حضرهُ عدد لا يُحصى من الشعب

فاجتمع الاب دنديني في اثناء ذلك بالبطريرك يوسف وفاوضهُ اوّلًا في امر تلامذة رومية العائدين منها بعد دروسهم كي يعطوهم المراتب التي هم اهلٌ لها فيخدموا الطائفة بعلومهم وآدابهم فاجابهُ البطريرك الى ذلك بأن اقام استفاً على افقيسية (قبرس) موسى العنيسي من العاقورة وسقّف يوحنّا الحوشبيّ وجعلهُ معاوناً لهُ في تدبير شؤون دير قنّوبين (١ . وسقّف اخاهُ سركيس مطراناً على دمشق فخلفهُ على رئاسة دير قزحيًا . وكلّ هؤلاء من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية . وبايماز الاب دنديني

١) في تاريخ الدويهي (ص ١٨٥) انّ تسقيفهُ كان سنة ١٦٠٣ وفيها ارسلهُ سفيرًا الى البابا بولس الخامس . امّا المستفاد من اقوال الاب دنديني ان تسقيفهُ كان بحضوره وكذلك يؤخذ من رواية دنديني انّ سيامة سركيس الرزّي وجرجس عميره كانت سنة ١٥٩٦ لا السنة ١٦٠٠

سليم جرجس عميره كاهناً ثمّ اسقفاً «رغماً عن معاكسة بعض السالكين على غايات شريّة» (ص ١٧٢) سامهُ كاهناً المطران موسى العنيسي ثمّ رقّاهُ البطريرك بمساعدة مطرانين آخرين الى رتبة الاسقفية وعهد اليه بتأليف كتب لارشاد الكهنة وهو الذي كان طبع سابقاً غراماطيقاً سريانياً لاتينياً وعُني بطبع كتاب القدّاس في مطبعة المديشيس

ولمّا رأى الاب دنديني حسن استعداد البطريرك الجديد لاصلاح الامور المخلّة وتحوير العادات الباطلة استلفت نظرهُ الى بعض ما يحسن بهِ استدراكهُ بعد اثبات المجمع المقدّم ذكرهُ فالبطريرك يوسف «لم يكتفِ بأن اثبت ذلك المجمع وسلّم بكل ما فيه باباً باباً وامر بان يرعاهُ الجميع بكل اجتهاد بل جمع اليهِ كلّ الاساقفة بحضرة سفير الكرسيّ الرسولي ايرونيموس دنديني وزاد عليهِ القوانين الآتية» وهي ستّة تجدها مفصّلةً في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٧–١٩) وكان تاريخ هذه الزيدات في ٣ تشرين الثاني (١ سنة ١٥٩٦

وقد نشرَ المرحوم رشيد الشرتوني في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٨٩ — ٦٩٣) قوانين مجمع ضيعة موسى كايضاح وتتمّة لمجمعَي قنّوبين في السنتين ١٥٨٠ و ١٥٩٦

ولمّا رأى الاب دنديني انّ سفارتهُ لدى الوارنة قد تمّت على مقتضى رغائبهِ استعدَّ لوداع البطريرك والسادة الاساقفة واراد قبل فراقهم ان يسأم السيّد البطريرك مفكّرةً في بعض الامور لئلّا تبرح عن بالهِ

فممّا ورد هناك ان لا يُرسَل اولاد الى المدرسة المارونيّة قبل بلوغهم السنة الرابعة عشرة من عمرهم ومعرفتهم القراءة والكتابة وان يُعطَوا عند رجوعهم من رومية رتباً موافقة لمعارفهم . ومن وصاتهِ للبطريرك ان يعيّن اسقفاً لقبرس يقيم فيها وكذلك في العاقورة . ومنها ان يرسل الى رومية مَن يقدّم الطاعة باسمهِ للكرسي الرسوليّ (وقد تمّ ذلك سنة ١٥٩٨ كما روى الدويهي ص ١٨٣ اذ ارسل الخوري جرجس بن يونان من قرية ايليج مع الشدياق يوسف اليان الحلبي تلميذ رومية) وفي وصاتهِ ايضاً اشياء كثيرة في اصلاح الرهبان كفصل بيوتهم عن ادرة الراهبات وتقييدهم بالعيشة العمومية وفرض سنة ابتداء على طالبي الترهّب يبرزون بعدها النذور الرهبانيّة الثلثة مع عدم السماح للاخوة بامتلاك شيء من المال . وهناك وصايا

١) لا «تشرين الاوّل» كما ورد سهواً في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٩)

أخرى للاكليريكيين والكهنة لاسيَّا لإرشاد الشعب والوعظ أيام الآحاد الخ

وليس في بقيَّة رحلة الاب دنديني ما يهمُّنا فأنهُ زار مع رفيقهِ الاب برونو الاراضي المقدَّسة ثمَّ رجع الى طرابلس وبقيا فيها الى ان امكنهما ان يبحرا الى ايطالية في اوائل كانون الثاني سنه ١٥٩٧ بعد مرورهما بالاسكندرونة ثمَّ بقبرس ومنها الى البندقيَّة فلم يبلغاها الَّا بعد اتعاب واخطار كثيرة في اواسط شهر حزيران. ثمَّ رحلا الى رومية فدخلا المدينة المقدَّسة في ١٧ تموز. واذ كان الحبر الاعظم عليلًا لم يمكن الاب دنديني ان يعرض عليهِ اخبار سفارتهِ الَّا في شهر تشرين الاوَّل فسُرَّ قداستهُ بنجاح السفارة ووعد بانَّهُ يداوم اهتمامهُ بالأمَّة الماورونيَّة مثنياً على اكليروسها وشعبها وإشعاراً بمحبَّتهِ نحوها عيَّن لحمايتها ابن اخيهِ الكردينال ألدُبرندنيني خلفاً للكردينال پاليوتي

ثم نشر الاب دنديني رحلتهُ بعد سنة باللغة الايطاليَّة في رومية فنقلها الى الافرنسيَّة العلَّامة المستشرق ريشرد سيمون سنة ١٦٧٥ وعلَّق عليها عدَّة ملحوظات في مبتدي صفحة تدلُّ على سعة علمهِ باحوال الشرق وحسن نظرهِ وجودة فكرتهِ (لهُ دلة)

الاسقف الطريد

صفحة من تاريخ الكثلكة في الاستانة

للمرحوم القنصل الفرنساوي فردينند رنزفال

حدث الواقع الآتي سنة ١٨٥٨. وفيها تعيَّن السيِّد نابوليون بنيامين كُنيس اساقفة على سَراياثو عاصمة الهرسك والبشناق بعد ان قام احسن قيام بأمور اسقفيَّة غَلَطة في الاستانة. وكان السيِّد المذكور يميل الى الدين الكاثوليكي دون ان يُعلن بهِ الَّا انَّهُ كان يتشبَّه في لبسهِ بلبس الاساقفة الكاثوليك فيتردَّى بثوب ذي أزرار وعُرى صغيرة مثلهم تحت البُردة اليونانيَّة الواسعة

وبقي على ذلك مدَّةً حتَّى لحظ الكهنة الذين في حاشيتهِ نَزْعتهُ الى الكثلكة